

القَصَصُ الدِّينِيُّ
الحلقة الثانية
قِصَصُ السَّيِّرةِ

الهِجْرَةُ إِلَى الْجَبَشَةِ

عبد الحميد جودة السحار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ،
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ
إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ : إِنَّمَا
أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ :
أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا .
قَالَ : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ ، وَلِنَجْعَلَهُ
آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ، وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

(فرآن کریم)

اجتمع الوليد بن المغيرة ، ونفر من قريش ،
 وراحوا يتحدثون عن محمد ؛ إنَّ الناسَ سيقدمون
 من البلاد للحجِّ عمَّا قليل ، وسيعرضُ عليهم
 محمدٌ دينه .

قال الوليد :

— إنَّ وفودَ العربِ ستقدِّمُ عليكم في
 الموسم ، وقد سمعوا بأمرِ صاحبكم ، فأجمعوا فيه
 رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فيكذبَ بعضكم بعضاً .

قالوا :

— يا أبا عبدِ شمس ، فُقلْ ماذا نقول .

فقال لهم :

— بل أنتم فقولوا وأنا أسمع .

— نقولُ كاهِن .

فقال الوليد :

— ما هو بِكاهِن ، فما هو بِسَجْعِ الكُهان .

— نقولُ مجنون .

— ما هو بِمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه .

— نقولُ شاعر .

فقال الوليد :

— ما هو بشاعر ، فقد عرفنا الشعر ، فما هو

بالشعر .

— فنقول ساحر .

- ما هو بساحِر ، قد رأينا السُّحَّارَ وسِحَرَهُم .

- فماذا نقولُ يا أبا عبدِ شمس ؟

- والله إنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً ، فما أنتم قائلونَ مِن

هذا شيئاً إلاَّ عُرِفَ أَنَّهُ باطل .

رَاحَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ فِي قُرَيْشٍ تُعَذِّبُ مَنْ أَسْلَمَ
 فِيهَا ، وَاشْتَدَّ اضْطِهَاذُ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى إِنَّ عَثْمَانَ
 بْنَ عَفَّانَ ، وَزَوْجَتَهُ رُقَيْعَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَالزُّبَيْرَ
 بْنَ الْعَوَّامِ ، فَكَّرُوا فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ ، فِرَارًا
 بِدِينِهِمْ ؛ فَلَمَّا عَرَضُوا الْأَمْرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ،
 قَالَ لَهُمْ :

- لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً
لا يُظلمُ عنده أحد ، وهى أرضُ صدق ، حتى
يجعلَ اللهَ لكم فرجاً مما أنتم فيه .

وخرَجَ المهاجرونَ فى سكونِ الليلِ على حينِ
غفلةٍ من قُريشٍ ، وذهبوا إلى البحر ، وركبوا
مركباً ذهبَ بهم إلى الحبشة ، وعلمت قريش
بمخروج المسلمين فغضبت ، وجدَّ المشركونَ فى
إثْرهم يطلّبونهم ، ولكنهم لم يجدوهم ؛ كانوا قد
ركبوا البحر ، ولجئوا إلى ملكٍ لا يُظلمُ عنده
أحد .

بَلَغَ قُرَيْشًا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ
 مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، وَأَنَّهُمْ يَعِيشُونَ عِنْدَهُ فِي أَمَانٍ ،
 فَرَأَوْا أَنَّ يُرْسِلُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ هَدِيَّةً ، وَأَنَّ يَطْلُبُوا
 مِنْهُ أَنْ يُعِيدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِينِ
 آبَائِهِمْ ، إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَجَمَعُوا هَدِيَّةً عَظِيمَةً ،
 وَأَرْسَلُوا بِهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ .
 دَخَلَ عَمْرُو وَعُمَارَةُ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَسَجَدَا
 لَهُ ، وَقَدَّمَا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ ، فَقَبِلَهَا ، وَأَمَرَ أَنْ يَجْلِسَا

إلى جواره ، وأقبلَ عليهما يُحادثُهما ، فقال
عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَكَانَ قَصِيرًا دَاهِيَةً :
- إِنَّ نَاسًا مِنْ أَرْضِنَا رَغِبُوا عَنْ دِينِنَا ، وَهُمْ فِي
أَرْضِكَ .

قال النجاشي :

- فِي أَرْضِي ؟

قال عَمْرُو :

- نَعَمْ .

فقال النجاشي :

- وَمَاذَا تُرِيدُونَ مِنْهُمْ ؟

فقال عمرو :

- ادْفَعْهُمْ إِلَيْنَا .

- لَا ، حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُمْ .

وأرسل إلى المسلمين فجاءوا ، فقال لهم :

- ما يقول هؤلاء ؟

فقال له المسلمون :

- هؤلاء قومٌ يعبدون الأوثان ، وإنَّ اللهَ بعثَ

إلينا رسولاً ، فأمنَّا به وصدَّقناه .

فالتفت النجاشيُّ إلى عمرو ، وقال :

- أعبيدُهم لكم ؟

قال عمرو : « لا » .

فقال النجاشيُّ :

- فلکم عليهم دين ؟

فقال عمرو : « لا » .

فأمر النجاشيُّ المسلمين أن ينصرفوا بسلام ،

وخرج عمرو وعمارة من عنده ، وهما مُطْرِقانِ

يفكران فيما يفعلان .

ضايقَ عَمْرًا أَلَّا يَنْجَحَ فِي رَدِّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى
 مَكَّةَ ، فَرَاخَ يُفَكِّرُ ، حَتَّى اهْتَدَى إِلَى فِكْرَةٍ ،
 فَدَخَلَ عَلَى النِّجَاشِيِّ ، وَأَسْرَّ لَهُ فِي أُذُنِهِ كَلَامًا ،
 فَأَرْسَلَ النِّجَاشِيُّ يَطْلُبُ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا جَاءُوا ،
 وَهَمُّوا بِالْدُّخُولِ عَلَيْهِ ، قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
 لَهُمْ :

— لَا يَتَكَلَّمُ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، أَنَا خَطِيبُكُمْ الْيَوْمَ .
 وَدَخَلُوا عَلَى النِّجَاشِيِّ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي

مجلسه ، وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة
عن يساره ، والقسيسون جلوساً عنده ، فسلموا
عليه ، ولم يسجدوا له ، فقال له عمرو وعمارة :
- إنهم لا يسجدون لك .

فصاح فيهم القسيسون والرهبان :
- اسجدوا للملك .

فقال جعفر :

- لا نسجد إلا لله عز وجل .

ولما وصل جعفر إلى النجاشي ، قال له :

- ما منعك أن تسجد ؟

قال جعفر في ثبات :

- لا نسجدُ إلا لله .

فقال له النجاشي :

- وما ذاك ؟ .

فقال جعفر :

- إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيْنَا رَسُولًا ، فَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ

وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ ، نُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ،

وَأَمَرَنَا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ .

فقال عمرو بن العاص :

- أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكُ ، إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عَيْسَى

ابنِ مَرْيَمَ .

فقال النجاشي لجعفر :

- مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ فِي ابْنِ مَرْيَمَ ؟

قال جعفر :

- يقول فيه قولَ الله : هو رُوحُ الله وكلمته ،
أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر .
فتناول النجاشي عُودًا من الأرض فرفعه ، ثم
قال :

- يا معشرَ القسيسين والرهبان ، ما يزيد هؤلاء
على ما نقولُ في ابنِ مريم ، ولا وزنَ هذه .
مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده ، هل معك شيءٌ
مما جاء به ؟ .

فأشرقَ وجه جعفر وقال :

- نعم .

فقال له النجاشي :

- هلم ، فأتلُ علىَّ مما جاء به .

فراح جعفرٌ يقرأ :

﴿... واذكرُ في الكتابِ مريمَ إذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ، وَلَنَجْعَلَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ، وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

فقال النجاشي : إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لِيَخْرُجُ مِنَ الْمَشْكَاةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى ، انْطَلِقُوا رَاشِدِينَ .

وخرج المسلمون مسرورين ، وخرج عمرو بن
العاص حزينا ، وزاد في حزنه أن النجاشي أمر
برد الهدية التي أرسلتها إليه قريش .
وعاد عمرو بن العاص إلى مكة يجر ذبول الخيبة !